قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

القيم التربوية والأخلاقية في سورة مريم وأثرها في بناء الأسرة

Educational and moral values in Surah Maryam and their impact on family building

م.د. عمر بندر علي حسين

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ الأولى / متوسطة الادريسي للبنين

Keywords
Values
Educational
Mary
Interpretation
Impact
Morality
Family.

Abstract

The Holy Quran is the primary source of education and ethics in Islam, combining spiritual guidance with behavioral direction, It serves as a productive reference for building individuals and societies on the foundations of faith to achieve true stature, Among its chapters that highlight educational values, Surah Maryam presents unique human examples embodying sincere faith, beautiful patience, mercy, chastity, and filial piety, representing the beauty of Islamic education.

This study was launched from the conviction that Qur'anic values are not abstract theoretical concepts, but rather a way of life that is translated into daily behavior in raising children, treating parents, and organizing family relations on the basis of mercy, respect, and responsibility, Through analyzing the contents of the noble Surah, the researcher seeks to reveal the most prominent values that contribute to building a cohesive Muslim family, and to draw inspiration from educational lessons that are suitable for addressing the problems of contemporary reality with an authentic Qur'anic spirit.

معلومات المقال

تاريخ المقال:
الإرسال:
المراجعة:
القبول:

الكلمات المفتاحية:
القيم التربوية
مريم تفسير
الأثر الأخلاقية
الاسرة

ملخص

يُعدّ القرآن الكريم المصدر الأول للتربية والأخلاق في الإسلام، إذ جمع بين الهداية الروحية والتوجيه السلوكي، فكان مرجعًا متكاملًا لبناء الإنسان والمجتمع على أسس الإيمان والاستقامة، ومن بين سوره التي تزخر بالقيم التربوية العميقة، تأتي سورة مريم لتقدّم نماذج إنسانية فريدة تجسّد الإيمان الصادق، والصبر الجميل، والرحمة، والعفة، والبر بالوالدين، وهي قيم تمثل جوهر التربية الإسلامية.

وقد انطلقت هذه الدراسة من قناعة بأن القيم القرآنية ليست مفاهيم نظرية مجردة، بل هي منهج حياة يُترجم إلى سلوك يومي في تربية الأبناء، ومعاملة الوالدين، وتنظيم العلاقات الأسرية على أساس من الرحمة والاحترام والمسؤولية، ومن خلال تحليل مضامين السورة الكريمة، يسعى الباحث إلى الكشف عن أبرز القيم التي تُسهم في بناء الأسرة المسلمة المتماسكة، واستلهام الدروس التربوية التي تصلح لمعالجة مشكلات الواقع المعاصر بروح قرآنية أصيلة.

* Corresponding author at: Institution of affiliation, address of institution,

E -mail addressomaralsaad1990mm@gmail.com (Dr. Omar Bandar Ali Hussein).

١.المقدمة

أهمية البحث:

١- إبراز المنهج التربوي القرآن، يكشف البحث عن الأسلوب التربوي الفريد الذي اعتمده القرآن الكريم في غرس القيم والأخلاق من خلال عرض النماذج الإنسانية في سورة مريم.

٢- تأكيد دور القيم في بناء الأسرة المسلمة، يوضح كيف تُسهم القيم القرآنية في تحقيق التوازن والاستقرار داخل الأسرة، بوصفها اللبنة الأولى في بناء المجتمع.

٣- إظهار الصورة القرآنية المتوازنة للأسرة، يبرز البحث نموذج الأسرة التي تقوم على الرحمة، والبر، والصبر، والتعاون، كما وردت في نماذج آل عمران ومريم وزكريا وغيرهم.

٤- الإسهام في الدراسات القرآنية الموضوعية، يمثل البحث إضافة نوعية إلى ميدان الدراسات القرآنية التي تتناول القيم والأخلاق من زاوية تربوية واجتماعية.

مشكلة البحث وأسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في استلهام التوجيه التربوي والأخلاقي من القرآن الكريم، بوصفه المصدر الأصيل للتربية الإسلامية.

٢- أهمية سورة مريم من الناحية التربوية، لما تتضمنه من نماذج إنسانية راقية تمثل قممًا في الإيمان، والصبر، والعفة، والرحمة، وهي قيم يحتاجها الفرد والأسرة المعاصرة.

٣- قلة الدراسات المتخصصة في هذا الجانب، فالموضوع يجمع بين البعدين التربوي والأخلاقي من منظور قرآني، وهو مجال لم ينل ما يستحقه من البحث والتحليل.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على تحليل القيم التربوية والأخلاقية الواردة في سورة مريم بدراسة موضوعية، مع التركيز على الأبعاد التربوية والأسرية التي تعالجها السورة من خلال النماذج القرآنية التي تجسد القيم في سلوكها ومواقفها، ولا تمتد الدراسة إلى الجوانب اللغوية أو البلاغية أو الفقهية، إلا في حدود ما يخدم الجانب التربوي والأخلاقي المتصل بموضوع البحث.

منهج الباحث في الكتابة:

١- اعتمد الباحث المنهج التحليلي الموضوعي الذي يقوم على دراسة الآيات القرآنية في سورة مريم من حيث دلالاتها التربوية والأخلاقية.

٢- استنباط القيم التي تتضمنها بأسلوب استقرائي يربط بين النص القرآني والواقع الأسري المعاصر.

٣- اتبع الباحث منهجًا وصفيًا في عرض القيم وتفسير أثرها في بناء الأسرة، مع الالتزام بالموضوعية.

خطة البحث:

المبحث الأول: القيم التربوية والأخلاقية في سورة مريم.

المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات الأساسية لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: التعريف بسورة مريم وبيان مكانتها في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: القيم التربوية الواردة في السورة.

المطلب الرابع: القيم الأخلاقية الواردة في السورة.

المبحث الثاني: أثر القيم التربوية والأخلاقية المستنبطة من السورة في بناء الأسرة

المطلب الأول: تعريف الأسرة لغة واصطلاحًا، ومكانتها في الإسلام.

المطلب الثاني: أثر القيم التربوية في تماسك الأسرة.

المطلب الثالث: أثر القيم الأخلاقية في بناء الأسرة.

الخاتمة

أبرز النتائج التي توصّل إليها البحث.

أهم التوصيات الموجَّهة إلى الباحثين، والأسر المسلمة، والمناهج التربوية.

٢.المبحث الأول: القيم التربوية والأخلاقية في سورة مريم

٢.١.المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات الأساسية لغةً واصطلاحًا

أولاً: القيم لغة : القيمة في اللغة مأخوذة من الفعل قامَ يقومُ، وأصلها القيام، وهو الثبات والاستقامة، وأصلها الواو لأنه يقوم مقام الشيء، يقال: قَوَّمْتُ السلعة، والاسْتِقامَةُ: الاعتدالُ، يقال: اسْتَقامَ له الأمر، وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [(١)] أي في التوجُّه إليه دون الآلهة، وقَوَّمْتُ الشيء فهو قَويمٌ، أي مُستَقيمٌ[(٢)].

ثانيًا: القيم اصطلاحًا: هي المنظومة التي تحدد ما يعتبره المجتمع مرغوبًا ومقبولًا من سلوكيات واتجاهات، وتشكل مرجعية للفرد في قراراته وتصرفاته[(٣)].

ثالثًا: التربوية: كلمة مأخوذة من التربية، والربو: مصدر رَبَّا الشَّيْء يَرْبُو ربوا إذا ارْتَفع، وجاءت مادة (رَبَا) في اللغة بمعنى النماء والزيادة، ويقال: رَبَا الشيءُ يربو، إذا زاد ونما، ورَبَّاهُ تربيةً أي: أنشأه ورعاه ونمّاه شيئًا فشيئًا[(٤)].

رابعًا : التربية اصطلاحًا : "التربية عملية هادفة، لها أغراضها وأهدافها وغايتها، تقتضي خططًا متدرجة تسير فيها الأعمال التربوية، والتعليمية وفق ترتيب منظم صاعد، ينتقل مع الناشئ من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة إلى مرحلة"[(٥)].

خامسًا : الأخلاقية لغةً: مأخوذة من الأخلاق جمع خُلُق، وهي مأخوذة من مادة (خ ل ق)، التي تدل على التقدير والتصوير والهيئة الخاء واللام والقاف أصل واحد، وهو تقدير الشيء وهيئته، ومن ذلك قولهم: خَلْق

---

(١) سورة فصلت الآية : ٦ .

(٢) ينظر: تجديد الصحاح ، ص ٤٣٣١ ، مادة: قوم .

(٣) ينظر: منهج التربية الإسلامية محمد قطب، ج ١ ص ٧٦.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة ، ج ١ ص ٣٣٠ مادة: ربا .

(٥) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، للنحلاوي ، ص ١٧ .

للهيئة الظاهرة، وخُلُق للهيئة الباطنة في النفس فيقال: رجلٌ حَسَنُ الخُلُق، وطليقُ الوجهِ، ودمِثُ[١].

سادسًا: الاخلاق اصطلاحًا: "عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا"[٢].

٢.٢.المطلب الثاني: التعريف بسورة مريم وبيان مكانتها في القرآن الكريم

سورة مريم من السور المكيّة التي نزلت في فترة مبكرة من الدعوة، وجاءت لترسّخ في النفوس معاني الإيمان، وتغرس في القلوب الطمأنينة والثبات أمام التحديات التي واجهت الدعوة الإسلامية في بداياتها، سُمّيت بهذا الاسم لورود قصة السيدة مريم عليها السلام فيها، تلك القصة التي انفردت بتفاصيلها الدقيقة التي تُظهر طهرها وعظيم مكانتها عند الله تعالى، فغدت السورة تحمل اسمها تكريمًا لها وبيانًا لعفّتها وصبرها وإخلاصها[٣].

تتميّز سورة مريم بطابعها الوجداني العميق، فهي تخاطب القلب والعقل في آنٍ واحد، وتعرض مشاهد إنسانية مؤثرة تعبّر عن الصراع بين الضعف البشري والقدرة الإلهية، وتُظهر كيف تتجلّى رحمة الله في حياة عباده المؤمنين، وهي من السور التي جمعت بين القصص القرآني والعبرة التربوية في أسلوب فني بليغ يفيض بالرحمة واللين[٤].

أما مكانتها في القرآن الكريم، فهي من السور التي تُعَدّ محورًا للحديث عن النبوة والرحمة والإيمان بالغيب، وقد تناولت نماذج من الأنبياء الذين جسّدوا في سيرهم قيم الصبر، والعبادة، والتوكل، والبرّ بالوالدين. كما أنها تمثل حلقة وصل بين العقيدة والأخلاق، وبين الرسالات السماوية المتتابعة، إذ تربط بين زكريا ويحيى ومريم وعيسى وإبراهيم عليهم السلام في وحدة روحية تقوم على الإخلاص لله وحده[٥].

وتبقى سورة مريم من السور التي تبعث في النفس الأمل بعد اليأس، وتغرس في القلب الثقة بوعد الله، وتجعل القارئ يعيش حالة من الصفاء والإيمان العميق، لما تحمله من معانٍ تربوية وأخلاقية خالدة تصلح لبناء الفرد والأسرة والمجتمع في كل زمان ومكان[٦].

٣.٢.المطلب الثالث:القيم التربوية الواردة في السورة

تُعدّ سورة مريم من السور القرآنية التي أولت اهتمامًا بالغًا بتربية الإنسان على القيم الإيمانية والإنسانية في آنٍ واحد، فهي لا تقتصر على سرد القصص والأحداث، بل تتجاوزها لتصوغ منها منهجًا تربويًا متكاملًا يغرس في النفس مبادئ الصبر، والإخلاص، والرحمة، والبرّ، والطاعة، والثقة بالله تعالى.

---

(١) ينظر: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص ٨٥، مادة: خلق .

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ، ج ٣ ص ٥٣ .

(٣) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ت سعيد اللحام، ص ٢٣١ .

(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن الفرس ، ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٥) ينظر: التفسير المنير –الزحيلي، ج ١٦ ص ٤٦ .

(٦) ينظر: تفسير المراغي، ج ١٦ ص ٣٢ .

وقد جاءت مواقف الأنبياء والصالحين في السورة لتجسّد هذه القيم عمليًا في واقع الحياة، وتُظهر كيف يواجه المؤمن الابتلاء بثباتٍ ويقينٍ، وكيف تنعكس صلته بربه على سلوكه وأخلاقه ومعاملاته.

ومن خلال هذا العرض القرآني البليغ، تتجلّى لنا ملامح المنهج التربوي في أسمى صوره، إذ تتكوّن من آيات السورة لوحةٌ متكاملة ترسم ملامح الإنسان المؤمن المتوازن في فكره، والمستقيم في سلوكه، والفاعل في أسرته ومجتمعه.

أولاً: قيمة الصبر والثبات في قصتي زكريا ومريم عليهما السلام:

تجسِّد سورة مريم في مشهدي زكريا ومريم عليهما السلام أسمى صور الصبر والثبات في مواجهة الشدائد، وتعرض نماذج تربوية خالدة تربي النفس على الثقة بالله، واليقين بقدرته، وحُسن الانتظار لفرجه.

فالنبي زكريا عليه السلام كان شيخًا كبيرًا لا يرجو ولدًا بعد أن وهن عظمه واشتعل رأسه شيبًا، ومع ذلك لم يفقد الأمل بربه، بل دعا بثقة ويقين: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [١]، ثم بشره الله بيحيى تحقيقًا لوعده، جزاءً لصبره وثباته على الدعاء والإيمان[٢].

أما السيدة مريم عليها السلام، فقد واجهت بلاءً عظيمًا لا يقوى عليه إلا من ثبّته الله، حين حملت بعيسى من غير زوج، فصبرت على الألم والخوف والعزلة، حتى ناداها الله برحمته: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [٣]، ثم أظهر الله براءتها بمعجزة نطق ابنها في المهد[٤].

إن مشهدَي زكريا ومريم عليهما السلام يقدّمان منهجًا تربويًا في الصبر والثقة بوعد الله؛ فزكريا صبر في الرجاء، ومريم صبرت في البلاء، وكلاهما نال الفرج الإلهي في الوقت الذي قدّره الله، لتبقى السورة درسًا خالدًا في أن الصبر ليس مجرد احتمالٍ للأذى، بل هو يقينٌ بأن مع العسر يُسرًا.

ثانيًا: قيمة البرّ بالوالدين كما تجلّت في شخصيتي عيسى ويحيى عليهما السلام:

يبرز في سورة مريم مبدأ البرّ بالوالدين كقيمة تربوية وأخلاقية رفيعة، تتجاوز حدود الإحسان المادي إلى الإكرام القلبي والالتزام السلوكي، إذ تصوغ السورة نموذجين نقيين لهذه القيمة في شخصيتي يحيى وعيسى عليهما السلام، لتؤكد أن صلاح الفرد يبدأ من حسن علاقته بوالديه.

ففي وصف الله ليحيى عليه السلام جاء قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[٥]، وهو وصفٌ جامع يُظهر كيف أن طهارة النفس واستقامة السلوك تتجليان في رحمة الابن بوالديه، وخفض جناحه لهما، بعيدًا عن الجفاء أو التعالي[٦].

---

(١) سورة مريم الآية : ٤.

(٢) ينظر:- لطائف الإشارات تفسير القشيري، ج ٢ ص ٤١٩.

(٣) سورة مريم الآية : ٢٤.

(٤) ينظر: تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن ، ص ٤٩١ .

(٥) سورة مريم الآية : ١٤ .

(٦) ينظر: تفسير السمرقندي ، ج ٢ ص ٣٧٠ .

وكذلك في قصة عيسى عليه السلام، حين تكلّم في المهد دفاعًا عن عفة وطهارة أمّه، قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[١]، أي: جاهلا بأحكامه متكبرا على عبادته، فقدّم البرّ بوالدته على سائر الصفات، وجعل منه مظهرًا من مظاهر النبوّة والعبودية الصادقة لله تعالى[٢].

إن اجتماع هاتين الآيتين في سياق واحد يُبرز أن البرّ بالوالدين قاعدة في بناء الشخصية المؤمنة، وأن العصيان والجفاء من سمات القسوة والابتعاد عن منهج الله، وهكذا ترسم السورة في ملامحها التربوية صورة الأسرة المؤمنة التي تتأسس على الرحمة، والاحترام، والوفاء، لتكون نواةً لمجتمع متماسك تسوده المودة والطاعة لله في آنٍ واحد.

٢. ٤. المطلب الرابع: القيم الأخلاقية الواردة في السورة

أولاً: قيمة الصدق والأمانة:

يُعدّ الصدق والأمانة من أعظم القيم الأخلاقية التي جاءت بها سورة مريم، إذ ربطت بين صفاء الإيمان ونقاء السلوك، وبين صدق الكلمة وصدق الموقف، فالصدق في المفهوم القرآني لا يقتصر على مطابقة القول للواقع، بل هو حالة من الانسجام بين الظاهر والباطن، تجعل الإنسان أمينًا على نفسه ودينه ومجتمعه.

وقد ورد في السورة وصف إسماعيل عليه السلام بصفةٍ فريدة من نوعها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[٣] وهي شهادة قرآنية تُظهر أن الصدق سمة الأنبياء، وعنوان الأمانة في الرسالة، إذ صدق الوعد يعكس صدق الإيمان، والوفاء بالعهد من جوهر الأمانة التي يُبنى عليها صلاح المجتمعات[٤].

كما تتجلّى الأمانة في السورة في صورةٍ غير مباشرة، من خلال مواقف مريم عليها السلام التي حافظت على أمانة التكليف الإلهي، فلم تفرّط في عفتها ولا في ثقتها بربها رغم ما واجهته من اتهام وظلم، بل واجهت الموقف بثباتٍ وصمتٍ يدل على قوة الإيمان وصدق التوكل[٥].

ومن المنظور التربوي، تُعلِّم السورة المؤمن أن الصدق والأمانة أساسان لبناء الشخصية السوية، وأن التربية الصادقة لا تكتمل إلا حين يتربى الإنسان على قول الحق، وأداء الحقوق، والوفاء بالعهد، لأن الكلمة الصادقة هي التي تصنع الثقة بين الناس، والأمانة هي التي تحفظ تماسك الأسرة والمجتمع معًا.

ثانيا : قيمة العفة والطهارة في قصة السيدة مريم عليها السلام :

تُعدّ العفّة والطهارة من أبرز القيم الأخلاقية التي تجسّدت في سورة مريم، من خلال شخصية مريم ابنة عمران، التي جعلها الله مثالًا خالدًا للنقاء الإيماني والسموّ الروحي، وقد قدّمها القرآن الكريم نموذجًا فريدًا للمرأة المؤمنة التي صانت نفسها، وحفظت قلبها

(١) سورة مريم الآية: ٣٢.
(٢) ينظر: تفسير التستري ط العلمية ، ص ٩٩ .
(٣) سورة مريم الآية : ٥٤.
(٤) ينظر: تفسير الطبري ، ج ١٨ ص ٢١١ .
(٥) ينظر: تفسير الرازي ، ج ٢١ ، ص ٥٤٩ .

وإيمانها من كل شبهة أو ضعف، لتصبح رمزًا للطهارة في كل الرسالات السماوية.

قال تعالى في وصفها: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ (١)، وفي هذا المشهد تتجلّى عفّتها في سلوكها حين اعتزلت الناس طاعةً لله، وابتغاءً للعبادة والخشوع(٢).

ثم يظهر ذروة امتحانها حين بشّرها المَلَك بميلاد عيسى عليه السلام، فقالت في دهشة العفّة(٣) قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (٤)، فجاء ردّ الوحي تأكيدًا لقداسة الطهر الذي تمثّله قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾(٥).

لقد كانت مريم عليها السلام رمزًا للعفّة الإرادية، التي تنبع من الوعي الإيماني لا من القيود الاجتماعية، ومن صفاء العلاقة مع الله لا من الخوف من الناس، وهي بذلك تقدم للإنسانية منهجًا أخلاقيًا متكاملًا في حفظ الجوارح والقلب والفكر، وتؤكد أن الطهارة ليست مجرد امتناع عن الفاحشة، بل هي طهارة النية، وصفاء الضمير، والصدق في الالتجاء إلى الله عند الفتن والابتلاءات.

وهكذا رسمت سورة مريم ملامح المرأة المؤمنة التي تصون عرضها ودينها، وتثبت على العفاف رغم قسوة الظروف، لتغدو العفّة عنوان الكرامة الإنسانية، والطهارة سُلّم الارتقاء الروحي الذي يُصلح الفرد والأسرة والمجتمع.

٣.المبحث الثاني: أثر القيم التربوية والأخلاقية المستنبطة من السورة في بناء الأسرة

١.٣.المطلب الأول: تعريف الأسرة لغة واصطلاحًا، ومكانتها في الإسلام

تُعدّ الأسرة في المنظور القرآني اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فهي الحاضن الطبيعي للقيم، والميدان الأوسع لتطبيق المبادئ التربوية والأخلاقية التي دعا إليها الإسلام، ومن خلال التأمل في سورة مريم، يتبيّن أن القيم التي عرضتها السورة كالصبر، والطاعة، والبرّ، والرحمة، والعفّة ليست مجرد توجيهات فردية، بل هي أسس عملية لتماسك الأسرة واستقرارها.

فالسورة رسمت من خلال قصص الأنبياء والأولياء نموذجًا راقيًا للعلاقات الإنسانية القائمة على الرحمة والاحترام والتكامل بين أفراد الأسرة، لتغدو القيم التربوية والأخلاقية التي حملتها منهجًا لبناء بيتٍ يقوم على الإيمان، وينتج أفرادًا صالحين يسهمون في نهضة المجتمع.

أولاً: تعريف الأسرة لغة : الأسرة في اللغة مأخوذة من الفعل أَسَرَ، ويُقال: "أَسَرَ القومَ" أي جمعهم في رباطٍ واحد، ومنه جاءت كلمة الأسرة للدلالة على الجماعة التي يربطها نسبٌ أو عهدٌ أو حماية متبادلة، وأسرة الرجل: رهطه الأدنون وفصيلته كذلك، وعترته كما تُطلق على البيت الواحد الذي يجتمع فيه الأقرباء، لما

(١) سورة: مريم الآيات: ١٦– ١٧ .
(٢) ينظر: تفسير الماتريدي ، ج ٧ ص ٢٢٧ .
(٣) ينظر: تفسير السمرقندي ، ج ٢ ص ٣٧١ .
(٤) سورة مريم الآية : ٢٠.
(٥) سورة مريم الآية : ٢١ .

بينهم من صِلةٍ ووحدةٍ وتماسكٍ يشبه القيد الذي يجمع أجزاء الشيء الواحد[١].

ثانيًا: الأسرة اصطلاحًا : "هى أصغر وحدة فى النظام الاجتماعى، ويختلف حجمها باختلاف النظم الاقتصادية، وتتكون الأسر من أب أكبر وزوجته، ومعه أولاده وأزواجهم وأولادهم وعبيدهم، وهم يقيمون فى مسكن مشترك أو فى وحدات سكنية مستقلة، ولكن معيشتهم مشتركة، وتحت إشراف رئيس العائلة الذى يتولى مسئوليتهم"[٢].

٢.٣.المطلب الثاني: أثر القيم التربوية في تماسك الأسرة

تمثل القيم التربوية الركيزة الأساسية في بناء الأسرة المسلمة وتماسكها، فهي التي توجه سلوك أفرادها نحو التعاون والرحمة والمسؤولية، وتضبط العلاقات داخلها وفق منهج إيماني متوازن. وعندما تُغرس هذه القيم في النفوس منذ الطفولة، تصبح الأسرة بيئة صالحة قادرة على مواجهة التحديات المادية والاجتماعية بثبات واتزان.

فالقيم كالصبر، والدعاء، والطاعة، والبرّ، ليست مجرد فضائل فردية، بل هي أسس تربوية تحفظ وحدة الأسرة وتمنحها القدرة على تجاوز الأزمات بروح الإيمان والاحترام المتبادل، مما يجعلها نواةً للاستقرار الاجتماعي والإصلاح الأخلاقي في المجتمع كله، وله آثار كبيرة في المجتمع ومنها:

أولاً: أثر الصبر في مواجهة الأزمات الأسرية: يُعدّ الصبر من أهم القيم التربوية التي تحفظ كيان الأسرة وتعينها على تجاوز الصعوبات والمحن. فالحياة الأسرية لا تخلو من التحديات، سواء كانت مادية أو نفسية أو اجتماعية، ويكون الصبر فيها عامل التوازن الذي يمنع الانفعال والتفكك، وقد جسدت سورة مريم هذه القيمة في أبهى صورها، إذ عرضت مشاهد من صبر الأنبياء والصدّيقين على الابتلاءات، فزكريا عليه السلام رغم كبر سنه وعقم زوجته لم ييأس من رحمة الله، بل دعا ربه بإيمانٍ وثقة حتى بُشِّر بالولد[٣]، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[٤].

وكذلك مريم عليها السلام حين واجهت محنتها العظيمة في حملها وولادتها، صبرت واحتسبت، فكان صبرها بابًا للفرج والتكريم الإلهي[٥]، قال تعالى: ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي ﴾[٦].

فهذان النموذجان يقدّمان للأسرة المسلمة درسًا بليغًا في أن الصبر عند الشدائد ليس ضعفًا، بل هو طريق القوة والتماسك، وأن الفرج يأتي مع الثبات واليقين بوعد الله، ومن يستلهم هذا المبدأ في حياته الأسرية، يجد أن الخلافات تُحل بالحكمة، وأن الأزمات تصبح فرصًا لتجديد الثقة بين أفراد الأسرة وربطهم بالله تعالى.

---

(١) ينظر: الجراثيم ، ج ١ ص ٢٦٠، وتهذيب اللغة، ج ١٣ ص ٤٤ ، مادة: أسرة .

(٢) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، ص ٢٢ .

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي ، ج ١٦ ص ١٠٠٧٣ .

(٤) سورة مريم الآية : ٤.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ، ج ١٨ ص ١٧٢ .

(٦) سورة مريم الآية : ٢٤

ثانيًا : أثر الطاعة والعبادة في توجيه الأسرة نحو الصلاح والالتزام: تمثل الطاعة والعبادة جوهر الحياة الإيمانية في الأسرة، فبهما يتحقق التوازن بين الجانب الروحي والسلوكي، وتترسخ القيم التي تُهذّب النفوس وتوجّهها نحو الخير. فالأسرة التي تتربى على طاعة الله، وتُقيم الصلاة، وتحرص على العبادة، تكون أكثر انضباطًا في تعاملاتها، وأقرب إلى روح المودة والرحمة التي جعلها الله أساسًا للعلاقات الأسرية.

وقد أبرزت سورة مريم هذا المعنى في أكثر من موضع، حيث قدّمت نماذج لأسرٍ ربّاها الإيمان والعبادة على الطاعة والالتزام، ومن أبرزها ما ورد في قوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾[١] .

تُظهر هذه الآية أن صلاح الأسرة يبدأ من القائد المربّي، حين يكون قدوة في العبادة والطاعة، فيغرس في أهل بيته روح الالتزام والإنابة إلى الله. فالأب أو الأم اللذان يحرصان على أداء الصلاة ويأمران بها، يزرعان في الأبناء حب الطاعة والانضباط الذاتي، مما ينعكس على سلوكهم العام واستقامتهم في المجتمع[٢].

ومن ثمّ، فإن الطاعة والعبادة ليستا مجرد شعائر، بل منهج تربوي يُعيد للأسرة توازنها، ويربطها بمصدر القيم العليا، ويُوجّهها نحو الصلاح في القول والعمل، فتغدو أسرة راشدة قادرة على مواجهة التيارات المنحرفة بثباتٍ وإيمان.

٣.٣.المطلب الثالث: أثر القيم الأخلاقية في بناء الأسرة

تمثل القيم الأخلاقية العمود الفقري لبناء الأسرة واستمرارها، فهي التي تمنح العلاقات الأسرية معناها الإنساني وعمقها الروحي، فحين يسود الصدق، والأمانة، والعفة، والرحمة، تتحول الأسرة إلى بيئة آمنة يسودها الاحترام والثقة المتبادلة، إنّ الأخلاق ليست مكمّلات للحياة الأسرية، بل هي أساس قيامها واستقرارها، إذ تضبط السلوك وتوجّه الانفعالات وتُهذّب المشاعر، فتمنع الانحراف والتفكك، ومن خلال هذه القيم تُبنى شخصية الأبناء على الاحترام والمسؤولية، وتُنشأ أُسرٌ صالحة تُسهم في بناء مجتمع متماسك يقوم على الفضيلة والالتزام.

أولاً: أثر الصدق والأمانة في بناء الثقة بين أفراد الأسرة: يُعدّ الصدق والأمانة من القيم الأخلاقية الجوهرية التي تقوم عليها العلاقات الإنسانية عامة، والعلاقات الأسرية خاصة، لأنّ الثقة لا تُبنى إلا على الصراحة والالتزام بالحق، فعندما يتربّى أفراد الأسرة على الصدق في القول والأمانة في الفعل، تسود بينهم الطمأنينة، ويزول الشك وسوء الظن، ويصبح التواصل بينهم صادقًا يعكس صفاء القلوب ونقاء النيات، وقد تجلّت هذه القيم في سورة مريم من خلال النماذج النبوية التي جسّدت الأمانة في الرسالة، والصدق في الموقف، كما في قوله تعالى عن إدريس[٣] عليه السلام:

(١) سورة مريم الآيات : ٥٤–٥٥.

(٢) ينظر: تفسير الماوردي، ج ٣ ص ٣٧٧ .

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي ، ج ٢ ص ٣٧٨ .

السلام: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾[١].

فالقرآن الكريم قدّم إدريس نموذجًا للصدق في الإيمان والعمل، مما يدل على أن هذه القيمة ليست مجرد خُلق فردي، بل أساس لكل علاقة قائمة على الثقة، وحين يلتزم أفراد الأسرة بالصدق في تعاملهم، ويتحمل كل منهم مسؤوليته بأمانة، تتماسك الروابط بينهم ويُصبح البيت بيئة يسودها الاطمئنان والاحترام المتبادل.

إنّ الصدق والأمانة يزرعان في الأسرة روح المصداقية والعدل، ويجعلانها قادرة على مواجهة الخلافات بشفافية دون خوف أو رياء، فتتحول العلاقات إلى روابط ثابتة أساسها الثقة، وثمارها الاستقرار والسكينة.

ثانيًا: أثر الرحمة والبرّ في ترسيخ أواصر المحبة والتماسك الأسري: تُعدّ الرحمة والبرّ من أسمى القيم الأخلاقية التي تُشيّد عليها الأسرة المسلمة، فبهما تنمو المودة بين أفرادها، وتزدهر روح العطاء والإحسان، فالأسرة التي يسودها التراحم والتقدير المتبادل تكون أكثر قدرة على تجاوز الخلافات، وأقرب إلى تحقيق السكينة التي جعلها الله غاية للحياة الزوجية والأسرية.

وقد برزت قيمة الرحمة والبرّ بوضوح في سورة مريم من خلال النماذج النبوية التي جسّدت الرحمة في أفعالها، والبرّ في سلوكها، ولا سيما في وصف الله تعالى ليحيى عليه السلام[٢] بقوله: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [٣]، وكذلك في وصف عيسى[٤] عليه السلام: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[٥]، هاتان الآيتان ترسمان صورة للأسرة القائمة على البرّ والرحمة، حيث الاحترام للوالدين، واللين في المعاملة، والبعد عن الجفاء والعقوق، ومتى تحقق هذا الخلق في البيوت، ساد الحب والتآلف، وذابت الخلافات في ظل المودة والاحترام.

فالرحمة ليست عاطفة عابرة، بل منهج تربوي يعمّق مشاعر الانتماء بين أفراد الأسرة، ويجعلهم متعاونين في السراء والضراء، أما البرّ فهو التطبيق العملي لتلك الرحمة، يُترجمها سلوكًا وتضحيةً وإحسانًا، وبذلك تُبنى الأسرة على أسسٍ من المحبة المتبادلة والتماسك الإيماني والاجتماعي.

٤.الخاتمة والنتائج

بعد دراسة القيم التربوية والأخلاقية في سورة مريم وتحليل أثرها في بناء الأسرة المسلمة، يمكن استخلاص جملة من النتائج والدلالات التي تُبرز عمق الرسالة القرآنية في تهذيب الفرد وإصلاح المجتمع من خلال الأسرة، وذلك على النحو الآتي:

١–سورة مريم تمثل نموذجًا قرآنيًا فريدًا في التربية الأخلاقية والإيمانية، إذ جمعت بين مشاهد

(١) سورة مريم الآية : ٥٦ .
(٢) ينظر: تفسير الطبري ، ج ١٨ ص ١٦٠ .
(٣) سورة مريم الآية : ١٤ .
(٤) ينظر: تفسير التستري ، ص ٩٩ .
(٥) سورة مريم الآية : ٣٢ .

الأنبياء والعِبَر التربوية بأسلوب يجمع بين التأثير الروحي والتوجيه السلوكي.

٢-القيم التربوية في السورة ليست مجرد مبادئ نظرية، بل ممارسات عملية انعكست في مواقف واقعية عاشها الأنبياء، مما يجعلها قابلة للتطبيق في الحياة الأسرية اليومية.

٣-الصبر في السورة جاء قيمة جامعة تربط بين الإيمان والعمل، وتُرسي في الأسرة روح التحمل والثبات أمام الشدائد دون يأس أو تذمر.

٤-الدعاء والتوكل في مواقف زكريا وإبراهيم عليهما السلام يعكسان عمق الإيمان الأسري، إذ يُربّيان أفراد الأسرة على التوجه إلى الله في كل أمر، مما يعزز الاستقرار النفسي والروحي داخل البيت.

٥-الطاعة والعبادة كما تجلّتا في نموذج إسماعيل عليه السلام تمثلان قاعدة السلوك الأسري السليم، إذ توحد هدف الأسرة حول طاعة الله وتغرس الالتزام والانضباط.

٦-البرّ بالوالدين في شخصيتي يحيى وعيسى عليهما السلام يرسّخ مبدأ الاحترام المتبادل بين الأجيال، ويُبرز أهمية التراحم والوفاء الأسري كأساس للتماسك العائلي.

٧-قيمة الصدق والأمانة في نموذج إدريس عليه السلام تؤكد أن بناء الأسرة المستقرة يقوم على الثقة والمصارحة، وأن غياب هذه القيم يؤدي إلى خلل في العلاقات الداخلية.

٨-قيمة العفة والطهارة كما تجلّت في قصة مريم عليها السلام تمثل أساس العفاف الأسري، فهي تحفظ كرامة المرأة، وتصون الأسرة من الانحراف الأخلاقي.

٩-الرحمة والبرّ في السورة يعكسان روح الإسلام في رعاية العلاقات الأسرية، فهما يربطان القوة بالعطف، والمسؤولية بالمودة، ويجعلان الأسرة سكنًا ومصدر طمأنينة.

١٠- السورة تؤكد أن التربية تبدأ من الإيمان قبل السلوك، فصلاح القلوب هو أصل صلاح البيوت والمجتمعات.

١١- القيم في سورة مريم مترابطة ومتداخلة، فكل قيمة تُكمّل الأخرى، لتشكل منظومة تربوية متكاملة تُسهم في تنمية الجانب الروحي والاجتماعي للأسرة.

١٢- الأسرة في ضوء سورة مريم تُعدّ بيئة إيمانية متفاعلة، يُسهم فيها كل فرد في حفظ القيم وممارستها لا بالقول فقط، بل بالقدوة والسلوك.

١٣- السورة أبرزت دور المرأة في التربية الإيمانية من خلال نموذج مريم، مما يؤكد أهمية الأم كحاضنة للقيم ومصدر للطهارة والإيمان في الأسرة.

١٤- تطبيق القيم المستنبطة من السورة يسهم في الحدّ من التفكك الأسري ويعزز الاستقرار النفسي، خصوصًا في زمن تتزايد فيه الضغوط المادية والثقافية.

المصادر والمراجع بعد كتاب الله تعالى

١- أحكام القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (ت ٥٩٧ هـ) تحقيق د. طه بن علي بو سريح وآخرون ، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

٢- إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٣- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، المؤلف: عبد الرحمن النحلاوي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٤- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ).

٥- تفسير التستري، المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله التُستري (ت ٢٨٣ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٦- تفسير الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٧- تفسير الشعراوي، الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٨- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة .

٩- تفسير الماتريدي، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)

١٠- تفسير الماوردي، النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١١- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

١٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان) ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

١٣- التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء، المؤلف: أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥ هـ) المحقق: الدكتور عزة حسن، الناشر: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦ م.

١٤- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١٦- الجراثيم، المؤلف: ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) حققه: محمد جاسم الحميدي، قدم له: الدكتور مسعود بوبو، الناشر: وزارة الثقافة، دمشق.

١٧- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

١٨- الصحاح في اللغة والعلوم ، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي – أسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية ببيروت الطبعة الأولى ١٩٧٤ م، النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

١٩- غريب القرآن لابن قتيبة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المحقق: سعيد اللحام.

٢٠- لطائف الإشارات تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

٢١- المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٢٢- منهج التربية الإسلامية، المؤلف: محمد قطب، الناشر: دار الشروق ، الطبعة الرابعة عشر ، ١٩٩٣ م .

٢٣- موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المؤلف: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، أعده للشاملة: عويسيان التميمي البصري.